المدائح النبوية
بين الإتباع والإبتداع

محاضرة

الشيخ. أ .د صالح سندي حفظه الله

نسخ و ترجمة إلى الإسبانية:

حسان بن الحفناوي بن مبروك

الحمد لله على إحسانه، الحمد لله على إحسانه الذي عمر وامتنانه الذي بهر

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة هي أرفع ما يقتنى وأنفع ما يدخر

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، أشرف البشر أشرف البدو والحضر، المبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدر، باقية العين والأثر، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد،

فإن الله تعالى قد شرع لعباده دينه القويم وارتضاه واصطفاه وفضله وشرفه وأعلاه، وجعله مهيمنا على الدين كله، وقدر العز لحزبه وأهله.

﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾.

فبعث أنبياءه الداعين إليه، الهاديين لفرائضه، والمخبرين عن شرائعه قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة، حتى بعث جلت قدرته خاتم النبيين وآخر الرسل، ومن نسخ بشريعته شرائع الملل.

إنه النبي الأمي الزكي، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، محمد وأحمد المقفي والحاشر، نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم، صلى الله عليه صلاة لا يبرح برقها ملموعا ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعا

وذاك أنه لما أراد سبحانه إظهار توحيده وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، بعث محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين.

وما زال في كل جيل مشهورا، وفي توراة موسى وإنجيل عيسى مذكورا، إلى أن أخرج الله تلك الدرة بين بني كنانة وبني زهرة، فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السبل.

فكان له من الآيات والدلالات على نبوته قبل بعثته ما أعجز أهل عصره، فكان أقوم أهله مروءة، وأحسنهم خلقا، وأعزهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا

لقد بلغ نبينا صلى الله عليه وسلم الذروة في خلقته وبهاء طلعته وفصاحة لسانه، وفي شرف نسبه وعز قومه

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبرد، كالبدر جلى نوره الظلما

عرفه القاصي والداني حتى قبل أن ينبأ بقوة عقله وصحة فهمه ورجاحة بصيرته، وشهدوا بواسع كرمه وعلو أدبه وطهارة ذاته وعظيم شجاعته وكثير حيائه وبالغ مروءته،

أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون،

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر،

أيها الأكارم، إن الحديث إذا تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في القلب لذة وفي اللسان حلاوة، فبذكره صلى الله عليه وسلم تتزين المجالس وتتعطر الأفواه وتتشنف الأسماع.

وكيف لا، وهو الذي جعله ربه للمتقين إماما وفضله على النبيين إجلالا وإعظاما، وكمله بالسمات المكرمات والصفات المشرفات مما لا يضاهى ولا يسامى.

لقد خُص صلى الله عليه وسلم بأشرف المناقب وأفضل المآثر، واستأثر بالسؤدد في الدارين، فحاز أنفر المعالي ونال أعلى المفاخر.

لقد حباه الله محاسن الشيم وكرم المآثر، هذا الرسول وكان صفوة ربه ما بين باد في الأنام وقاري.

إنه سيد ولد آدم الذي آتاه الله من الفضائل ما يطول النطق في إحصائه، ومن المعجزات ما يحول الوقت دون استيفائه.

لقد استجمع هذا النبي الكريم الفضائل من أطرافها والمحاسن من أشتاتها، حتى إن أخلاقه أضحت مقياس الأخلاق.

وكل من عرف طرفا من سيرته أسرته عظمة نبله و شريف مجده، وأيقن بقوله تعالى:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾

لقد كان أجمل الخلق باطنا وظاهرا، كان وجهه يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر،

كان كلامه كله نورا، ومدخله ومخرجه نورا،

لقد كان أكمل الخلق في نور الظاهر والباطن، وكان نوره من آيات نبوته.

لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.

"وما فقد الماضون مثل محمد، ولا مثله حتى القيامة يفقد صلى الله عليه وسلم"

لقد شرح الله صدره ووضع وزره وأعلى ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾

لقد أظهر الله به الشريعة المطهرة وأبانها، وشرف به هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها، وبعثه رحمة إلى كافة الخلق،

فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها، وأطفأ بنور إرشاده شر الضلالة ونيرانها،

لقد أمده الله بتوفيقه، فأزال الظلم ونوره، ومحا الجور وغيره، وأيد الحق وأظهره،

أقام الله بسيفه الإيمان فاشتهر، وكف به يد الطغيان فازدجر،

بعثه للأرحام يبلها، وللأولياء يجلها، وللأعداء يذلها، ولسيوف النصر من الغمود يسلها،

رابط في سبيل الله وجاهد، وشمر في دفع أعداء الدين وكابد،

أحل الطيبات و أباحها، وأزال الشبهات و أزاحها،

أوضح سبل المعروف وشرع سنن العدل المألوف،

أوتي جوامع الكلم ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم بها سلم،

أدى الرسالة بما تحمله من أماناتها، ورعى العهود لمن أخلص في مراعاتها، ودعا الأمة بإذن الله إلى سبيل نجاتها.

بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على العاملين، ونشر دعوته في الآفاق، وأيده بنصره وبالمؤمنين،

أرانا الهدى بعد العمى، فقلوبنا به موقنات، إنما قال واقع،

اتخذه الله خليله وآتاه الفضيلة والوسيلة،

إنه بأبي وأمي المخصوص بالمقام المحمود والحوض المورود و لواء الحمد المعقود،

صلى الله عليه ما أورق عود وأولج نهار السيوف في ليل الغمود، وسلم تسليما.

إنه محمد رسول الله عبده الصادق الأمين، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين،

إنه الذي شرط الله الإيمان بالرضا بحكمه، وأوجب طاعته أمرا ونهيا واستجابة و تحكيما،

فقال تعالى:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾

أخذ الله ميثاق النبيين في نصره والإقرار بفضله، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

أشرقت به معالم التوحيد فعمر دارسها وأشرق دامسها، وأضاءت شريعته فلم تخف على ذي نظر، وأنارت ملته فأبصرها القلب قبل البصر، وعمت دعوته فاستوى في وجوب إجابتها البشر،

نبه القلوب الغافلة من سناتها، وأيقظ الخواطر النائمة من سباتها، فأضاء به الحال الحالك، وأنجى الله به من مهاوي المهالك.

أرسله ربه والأصنام قد عبدت جهارا، والكفار قد أعرضوا عن الحق استكبارا، فقام بأمر الله انتصارا، وقهر من أعرض عن الله اغترارا، و أخمد بضياء نوره الباطل و أهدره إهدارا،

إنه الذي أظهر الله به واضح آياته، وأصبح النشر عابقا من نشر راياته، أيده سبحانه بحكمته وعصمه من الناس بعصمته.

إنه المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا، المفروضة طاعته على سائر الأمم دينا وشرعا.

إنه النبي الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، والرسول المخصوص بالآيات والذكر الحكيم.

إنه الذي دعا الأمم إلى التوحيد بعد جحوده، وأمال عمود الشرك فأهوى به إلى الصعيد بعد صعوده

صلى الله وسلم عليه ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر.

أسرى الله به إليه فبلغ في الارتقاء سبعا شدادا، وأنزل عليه أشرف كتبه بيانا و أعجزها آية وأوضحها إرشادا، وبعثه إلى الأحمر والأسود فسعد من سعد به إيمانا و شقي من شقي عنادا.

أنزل عليه الروح الأمين بالقرآن وحيا، فهدى به قلوبا غلفا و أسماعا صما وأبصارا عميا.

لقد أصبح شعث النفوس بدعوته ملموما، وحزب الطغيان بها مهزوما، وداء البهتان بحسامها محسوما.

أدى الأمانة وبلغ الرسالة ورفع الضلالة ورد الضالة، نسخت شريعته الشرائع وسدت الذرائع وشمخت على النجوم الطوالع.

كان أعظم الناس عفوا وحلما، كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم.

صلى الله عليه ما نفح روض معطار وسح صوبُ أمطار.

هذا هو رسول الله محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، كان عظيما في كل شيء شهد له بهذا القاصي والداني والعدو والصديق.

ما إن مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمدي

أيها الكرام، إن التفيؤ في هذه الرياض رحب واسع، وحسبنا من الغدران ما وسع الإناء.

أيها الأفاضل، موضوع هذه المحاضرة كما سمعتم:

المدائح النبوية بين الإتباع والإبتداع

وقد سمعت يا رعاك الله طرفا مما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المدح المعلى في الشرف والمكانة والفضل وعلو القدر، وأن القلوب المحبة لتمتلئ، وأن الألسنة لتلهج تعزيرا وتوقيرا وثناء و مدحا وذكرى محاسن لجنابه الرفيع.

إن من المعلوم ضرورة أنه ما خط قلم ولا نطق لسان في مدح بشر على الإطلاق نظما أو نثرا كما مدح نبينا الكريم الذي رفع الله قدره وأعلى ذكره صلى الله عليه وسلم تسليما مزيدا.

غير أن الطرائق ها هنا متفاوتة، فأين قصد السبيل؟ وما الحد الذي على المسلم أن يقف عنده ولا يتجاوزه خشية أن يقع في محظور يعود على دينه بالضرر؟.

في هذه المحاضرة ما أرجو أن يجيب عن هذا السؤال، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

وقد جعلت المحاضرة بعد هذه المقدمة في ثلاثة محاور رئيسة:

الأول : في ضوابط المدح المشروع للجناب المحمدي الشريف

الثاني: في سمات المدح غير المشروع له صلى الله عليه وسلم

الثالث: أنموذج للمدح غير المشروع مع وقفات معه

والله تعالى أسأل لي ولكم الهداية والسداد والإنصاف من النفس والإذعان للحق والتوفيق لقبوله

المحور الأول

ضوابط المدح المشروع للجناب المحمدي الشريف

أولا: مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشروع هو ما كان منضبطا بالشرع مقيدا بالسنة لا يتجاوز ما دلت عليه الأدلة له.

اعلم أيها الموفق أن النبي صلى الله عليه وسلم في غنى عن أن يُكذب عليه ليرفع من قدره أو تُختلق المفتريات أو تتتابع في حقه الترهات.

فما ثبت في الكتاب والسنة مما أنعم الله به عليه وخصه به من المحاسن فيه الغُنية.

أعود فأقول: ما جاء في الأدلة في جنابه العالي هو و رب السماء أبلغ من المحدثات والمبالغات و المكذوبات.

إنما اصطفاه الله به من الوحي والنبوة والرسالة وختمها وتحقيق العبودية والشكر والإسراء والحوض والكوثر والمقام المحمود وغيرها كثير، إن هذا والله هو الشرف الذي لا يدانى والفضل الذي لا يقارب.

فهلا استغنى المسلم به فكان محبا مادحا صادقا متبعا.

وبهذا تعلم أن قول صاحب البردة، وسيأتي بعد قليل إن شاء الله، وإن قوله ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم، إن هذا قول مجانب للصواب.

فالأمر ليس راجعا إلى مشيئة المادح وهواه، فإن اعتقاد اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات الكمالية من جملة مسائل الاعتقاد، والواجب فيها الوقوف عند حد الوارد في الوحي.

ثانيا: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم والأدب معه قرينان لا ينفكان، فلا أدب معه إلا بطاعته ولا طاعة إلا بأدب.

وأنبه هنا إلى مقالة مجانبة للصواب يطلقها بعضهم وهي أن الأدب مقدم على الطاعة، أي أن التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه مقدم على التزام سنته و سائغ ولو خالف أمره، وهذا خطأ قطعا.

فأي سوء أدب معه صلى الله عليه وسلم أشنع من أن ينهى صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم يصر المسلم على عصيانه بدعوى محبته ومدحه!

ولو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

إن من المحال أن يبتغى الفضل في خلاف سنته، ومن الخذلان أن يُطلب البر في عصيانه.

ثالثا: الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم و الإطراء المنهي عنه ليس من المدح المشروع، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري:

« **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا عبدُ الله ورسوله**»

والإطراء: هو المجاوزة في المدح، أما بالكذب فيه أو تخطي الحد الشرعي.

وقد أخرج أحمد في المسند بسند صحيح على شرط مسلم أن رجلا قال:

« **يا محمد يا سيد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس عليكم بتقواكم لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** ».

رابعا: الخلط بين حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم ضلال مبين، فاحذر أن تخلط بينهما يا عبد الله.

فلله حق لا يجوز جعله لغيره من المخلوقين، ولنبيه صلى الله عليه وسلم حق لا يجوز جعله لأحد من المخلوقين.

ومن لم يرزق الفرقان بين الحقين زل عن الصراط المستقيم وضل عن الحق المبين.

وما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله:

الرب رب والرسول فعبده ... حقا وليس لنا إله ثان

فلذاك لم نعبده مثل عبادة الرحمن ... فعْل المشرك النصراني

كلا ولم نغلو الغلو كما نهى ... عنه الرسول مخافة الكفران

لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقان

لا تجعل الحقين حقا واحدا ... من غير تمييز ولا فرقان

فالحج للرحمن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبح ذا القربان،

وكذا السجود ونذرنا و يميننا ... وكذا متاب العبد من عصيان

لكنما التعزير والتوقير ... حق للرسول بمقتضى القرآن

والحب والإيمان والتصديق ... لا يختص بل حقان مشتركان

هذه تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تجهلوها يا أولي العدوان

خامسا: التسليم للأدلة شرط الإيمان في هذا الباب وفي غيره، وعليه فلا يجوز لمسلم أن يجد في نفسه حرجا مما جاء في الأدلة وإن خالف هواه، ومن كان كذلك فليراجع إيمانه.

من ذلك مثلا ما صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال عن نفسه:

«**قولوا عبد الله ورسوله**».

وقال له رجل: «**ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله عِدْلًا، قل ما شاء الله وحده**»

وقال الله له: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء**﴾

وقال:﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله** ﴾

وقال: ﴿**قل إني لا أملك لنفسي ضرا ولا رشدا**﴾,﴿ **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾

وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية رضي الله عنهم: «**لا أغني عنكم من الله شيئا**».

فعظم ذلك على الغلاة ووقع في نفوسهم وفلتات ألسنتهم ما يدل على انطواء نفوسهم على حرج عظيم من الأدلة الماضية وما شابهها، ولربما زعموا أن من قال بما سبق فقد سلب النبي صلى الله عليه وسلم حظه وهضم مرتبته.

والواقع أنهم هم من فاتهم تعظيمه بتصديق قوله وما أوحى الله إليه، ناهيك عن أنهم هضموا حق الإلهية و تنقصوا مقام الربوبية.

فلهم نصيب وافر من قوله تعالى:

﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾

أيقن أيها المسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق، فإن أثبت لنفسه شيئا أو نفى شيئا فإنه صادق فيه وفي جميع ما يقوله، وعلينا أن نصدقه في ذلك، ولا أمان ولا إيمان إلا بذلك.

فإذا قال: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فقولوا عبد الله ورسوله** »، قلنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وإذا قال:﴿ **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**﴾ ، أو قال « **إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**»،

قلنا إنما هو بشر مثل البشر ينسى كما ينسى البشر،

وإذا قال: ﴿ **لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**﴾،

قلنا ليس عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب كما لا نقول إنه ملَك،

وإذا قال: ﴿ **لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله** ﴾،

قلنا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله،

وإذا قال: « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»،

قلنا لن يدخل الجنة أحد بعمله،

فإذا قيل لنا ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا و لا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل.

فنخبر بمثل ما أخبر تصديقا به و إذعانا لحديثه، فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وفي الجملة أيها الإخوة، بعض الناس قد يقول على سبيل التواضع كلاما في حق نفسه يهضم منزلته، فليس لغيره أن يقول فيه هذا، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينطق إلا بالحق، وكلامه إذا كان تواضعا لله فهو أحق الخلق بالتواضع لربه عز وجل، وكلامه حق وصدق، وليس هذا كتواضع الرجل للرجل.

ومن اعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بخلاف الحقيقة والواقع ولو على سبيل التواضع فقد اتهمه بالكذب وحاشاه، ومن اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا فقد مرق من دين الله بالكلية عياذا بالله.

انتقل بعد هذا إلى

المحور الثاني

سمات المدائح البدعية له، صلى الله عليه وسلم

هذه بعض السمات والمعالم للمدائح البدعية المخالفة للشرع والتي على المسلم أن يحذرها إن أراد أن يستبرئ لدينه.

أولا: الغلو

فالمدائح النبوية البدعية غارقة في بحار من الغلو الذي تكاثر في الشريعة النهي عنه والتحذير منه. فإن كثيرا ممن لم يترسم هدي الشريعة فمدح النبي صلى الله عليه وسلم في منظوم أو منثور غلا غلوا قبيحا فيه عليه الصلاة والسلام، حتى لربما أضفى عليه صفات الألوهية أو رفعه إلى درجة الربوبية، يشارك الله تعالى فيما يتصف به من العلم والقدرة، أو صرف الدعاء والرجاء له، ويظن المخذول أنه يحسن صنعا.

وسيأتي بعون الله ذكر نماذج لهذا الغلو عن قريب.

ويحسن التنبيه على أن الغلاة في النبي صلى الله عليه وسلم، الواصفين له بصفات مخترعة لم يثبت منها شيء في الوحي يلزمهم بسبب وصفهم له بغير صفاته التكذيب به.

قال العلماء: **وصف النبي صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به.**

ويلزمهم أيضا اختراع محمد موصوف بتلك الصفات، وأن يكون محمد صلى الله عليه وسلم الحقيقي الصادق الأمين معدوما، وأن تنسب أسماؤه وأحواله وسيرته ومعجزاته وشؤونه كلها إلى ذاك المعدوم المخترع.

وتحت هذه النسبة من الجنايات العظيمة ما لا يحصى.

وعليه فيكون إقرار الغلاة بقولهم نشهد أن محمدا رسول الله منصرفا إلى ذاك المعدوم الموهوم، فيكونون مقرين مؤمنين في كل شهادة يشهدونها بأن هذا المعدوم مرسل من عند الله، وهم الباطل الذي يعتقدونه دين محمد الحق.

هذا يلزم كل من يبدل صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويصفه بصفات الربوبية والألوهية وهو ما يمتنع وصفه به شرعا وعقلا كما فعل أولئك الغلاة، فليحتط لنفسه من يريد نجاتها.

ثانيا: من الغلاة الواقعين في المدائح البدعية من يروم الثناء عليه وبيان رفيع قدره عليه الصلاة والسلام فيقع في بعض الأنبياء سواه فيغض من أقدارهم ليمدح نبينا صلى الله عليه وسلم في زعمه، وما هكذا يكون المدح الصادق.

ولا ريب أن الوقيعة في نبي أي نبي بحيث يقدح فيه ويذم أو يسب، لا ريب أن هذا ردة عن دين الله، ومن قرب من هذا المورد الموبوء فقد حام حول حمى الكفر عياذا بالله.

وقد قال صلى الله عليه وسلم:« **لا تخيروا بين الأنبياء**» متفق عليه

فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يجب على المسلمين من التأدب مع الأنبياء جميعا، إذ التخيير غير المنضبط بالشرع ربما أدى إلى التنقيص وسوء الأدب، **وهذا لا ينافي كون بعضهم أفضل من بعض، وخاتمهم هو أفضلهم صلى الله عليه وسلم.**

ثالثا: مما يقع في بعض المدائح البدعية أن يشبب الشاعر ولا يتحاشى من ذكر العشق والصبابة و الوله، ولربما ذكر في سياق مدح النبي صلى الله عليه وسلم ذكر صفات تشبه تلك التي يهام بسببها في المعشوقين، وهي رعونة قبيحة وسوء أدب مع الجناب المحمدي الكريم، فليحذر المسلم من الوقيعة في هذا الأمر المحرم القبيح أو الرضا به.

رابعا: مما يكثر في المدائح البدعية الاعتماد على ما لا يصح من الأحاديث المكذوبة أو الضعيفة، فكم هي الأشياء الباطلة أو التي لا أساس لها وقد حشيت بها تلك المدائح، وفيما ثبت غنية وكفاية بحمد الله.

خامسا: لا تكاد تخلو المدائح البدعية من إيراد مخالفات عقدية وأخطاء شرعية سوى ما تقدم مما هو من جنس الشرك الأصغر أو البدع أو الخرافة، كالحلف بغير الله والتوسل البدعي والتبرك غير المشروع وغير ذلك، وهذه منكرات بعضها فوق بعض، والمؤمن السعيد من لم يتعد حدود الله.

انتقل بعد هذا إلى

المحور الثالث

وهو ذكر نموذج للمدائح البدعية مع وقفات تتعلق بها.

وأريد في هذا المقام أن أسوق مثالا للمدائح المخالفة للشرع والتي كثرت بين الناس قديما وحديثا يتضح به ما ذكرته آنفا، وليكون المسلم على بينة من أمره.

وهذا النموذج هو قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طارت في الناس كل مطار، يحفظها كثير ويترنم بها كثير، ونالت من الشهرة ما لم تنله أي قصيدة من قصائد مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تلكم القصيدة هي **البُردة للبوصيري**

فلما كانت هذه القصيدة أشهر من غيرها في هذا الباب، ولما كانت قد حوت من الأخطاء العقدية الشيء الكثير، ولما كان نصح المسلم للمسلم واجبا، رأيت أن أسلط الضوء على ما فيها من أخطاء لتحذر، وليعتبر ما يجري فيها وفي غيرها تنبيها وحذرا.

وابتداء أقول:

ليس يجحد أن هذه القصيدة قد بلغت في عذوبة النظم شأوا بعيدا، كما أنها اشتملت على حكم ونصائح بليغة، غير أن الحكم على القصيدة لا ينبغي أن يكون بعين عوراء، بل ينبغي أن توضع في ميزان الشرع، ثم يتضح الحكم فيها عند التجرد في طلب الحق.

وإذا كانت تشتمل على قوادح عقدية كثيرة لم يشفع لها ما تقدم، كما لا يشفع للطعام الضار تقديمه في طبق جميل براق.

هذه القصيدة هي البُردة، هذا أشهر أسمائها، وتسمى أيضا الكواكب الدرية في مدح خير البرية، وبعضهم يسميها البرأة لأنهم زعموا أن منشئها برئ بسببها من علته، وبعضهم يسميها بقصيدة الشدائد لأنها في زعمهم تقرأ لتفريج الشدائد وتيسير كل عسير، هكذا زعموا.

مع أن المفارقة أن مُنشئها عاش تعيسا إلى أن مات، فأين ما ادعوه من أنها تجلب الغنى وتطرد الفقر وتذهب الشدائد!؟

وقد نسجوا حول هذه القصيدة قصصا خيالية، بل وضعوا لقراءتها شروطا لم يضعوا مثلها لقراءة القرآن كالوضوء واستقبال القبلة والدقة في قراءتها والعلم بمعانيها، ووضعوا لها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت الحصر من شفاء الأمراض وتفريج الكرب، حتى إن منهم من اتخذ منها التمائم والحروز.

وبلغ من شُهرتها أن قال بعض المشهورين وقد ازدادت شُهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن.

وقد ترجمت إلى لغات عدة، وأقبل عليها الشعراء تشطيرا وتخميسا وتَسبيعا، ناهيك عن الشروح التي بلغت نحو المئة.

أما مُنشئ القصيدة فإنه البوصيري، واسمه محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، المغربي الأصل المصري الولادة والنشأة والوفاة، ولد سنة 608 وتوفي سنة 696، وكان على الطريقة الشاذلية المبتدعة.

ولم تذكر له في كتب التراجم نشأة علمية أو اشتغال بالعلم الشرعي، بل المذكور في كتب التراجم أنه كان ممقوتا من الناس لإطلاقه لسانه في الناس بكل قبيح، وكان كثير السؤال للناس مع إساءة الأدب وسلاطة اللسان.

ومن تصفح ديوانه وهو مطبوع اطلع على شيء كثير يقدح في دينه وخلقه وعقله، ولولا أني أُجل هذا المسجد المبارك لسقت نماذج تشهد لما أقول.

والخلاصة أن منشئها ليس من المعروفين بالعلم الشرعي ولا من المشهورين بالديانة والورع، بل كان على طريقة خلفية بدعية وأخلاق غير مرضية، وهذا ليس تحاملا مني وإنما ما كشفته ترجمته في كتب التراجم و أنبأت عنه قصائد ديوانه.

أما عن القوادح العقدية في القصيدة فهي كثيرة يضيق الوقت عن استيعابها، وسأكتفي بعون الله بالتنبيه على بعضها، وهو ينبئ عما وراء ذلك.

أشنع ما في هذه القصيدة وقوع عدد من أبياتها في مستنقع آسن من الشرك بأنواعه في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات

من ذلك قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم:

"ما سامني الدهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم، ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم."

❁ تعليق الشيخ ❁

وهذا والله شرك صريح أكبر، وما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلا لإنكار هذا الشرك وأمثاله، **فالدعاء والاستغاثة حق خالص لله**، فمن دعا ميتا نبيا أو وليا أو غيرهما فقد أشرك بالله وصرف خالص حقه لغيره.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح الصريح:

الدعاء هو العبادة، ثم قرأ:

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾

وإذا كان الدعاء عبادة كان التوجه به لغيره سبحانه شركا.

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾

قال سبحانه:

﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾

وقال سبحانه:

﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي:

« إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»

هذا ما قال الله وهذا ما قال رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما البوصيري فإنه يخبر عن نفسه أنه ما مسه الدهر ضيما في أي وقت من الأوقات إلا كانت استجارته بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا أراد غنى إلا و التمسه منه عليه الصلاة والسلام، فما عرف الله ولم يكن له في قلبه قدر فيدعوه ويستجير به.

والدين كله يا معشر الإخوة مبناه على تحقيق العبودية لله والتوجه بالعبادة دعاء ونذرا و سجودا وركوعا وذبحا لله رب العالمين.

لقد كذب هذا الشاعر وصدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال سبحانه:

﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾،﴿ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾

ويستمر هذا الشاعر موغلا في حمى الشرك فيقول:

" ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم، ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقسم"

❁ تعليق الشيخ ❁

وهذا أيضا شرك صريح، **فالإستنصار واجب أن يكون بالله، ولا يكون بميت وإن كان رفيع القدر، وهذا دين الموحدين.**

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾

الله هو الناصر، ومن انتصر به منصور، ومن انتصر بغيره من الأموات فهو مخذول.

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾

ولم يدع هذا الشاعر شيئا يختص بالله في هذه المقامات إلا وجعله للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو والله من هذا بريء.

فها هو يحوم حول أن مغفرة الذنوب بيد النبي صلى الله عليه وسلم فيقول في بردته:

❝إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض من النبي ولا حبلي بمنصرم، فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم❞

❁ تعليق الشيخ ❁

يا هذا أقصر، لقد بالغ لغو هذا الرجل حتى جعل مغفرة الذنوب لغير الله، والله تعالى يقول وهو أصدق قيلا: **﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾**

وعلى هذا النسق المغالي يقول في همزيته التي تنافس البردة في الغلو فيقول:

❞ الأمان الأمان إن فؤادي من ذنوب أتيتهن هواء،

قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء،

قد رجوناك للأمور التي أبردها في فؤادنا رمضاء،

وأتينا إليك أنضاء فقر حملتنا إلى الغنى إمضاء،

وانطوت في الصدور حاجات نفس ما لها عن ندى يديك انطواء،

فأغثنا يا من هو الغوث والغيث إذا أجهد الورى اللأواء،

والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء،

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما ذهلت عن أبنائها الرحماء،

هذه علتي وأنت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء،

ومن الفوز أن أبثك شكوى هي شكوى إليك وهي اقتضاء ❝

ويقول قبل هذا:

❞ يا نبي الهدى استغاثة ملهوف أضرت بحاله الحوباء ❝

❁ **تعليق الشيخ** ❁

أين دعاء الله وأين اللجوء إلى الله وأين ما يقتضيه قول لا إله إلا الله !؟

ها قد سمعت يا عبد الله هذا الشاعر وكثيرا على شاكلته يصرف عبادة الله لغير الله ويجعل فعل الله المختص به لغيره ويناديه مع البعد، ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم **مع البعد لاعتقاده أن له سمعا واسعا وعلما شاملا وقدرة خفية.**

أرأيت كيف جمع ها هنا الشرك في الربوبية وفي الألوهية وفي الأسماء والصفات.

وعودا إلى البردة وكشف ما فيها من فواقر أقول: **دونك لونا آخر من الشرك وهو الشرك في الرجاء.**

فلقد علق هذا الشاعر الرجاء في الآخرة بمحمد صلى الله عليه وسلم لا بالرحيم الرحمن سبحانه جل في علاه، فهو يقول يريد النبي صلى الله عليه وسلم:

❝إن لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم، حاشاه حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم، ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه وجدته لخلاصي خير ملتزم❞

هذا يقول الشاعر وكذب وصدق الله: ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ .

إن رجاء المؤمن الصادق معلق بالله لا بغيره، المؤمن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، بخلاف حال غير المؤمنين، ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ .

ثم يمضي قدما فيما هو غارق فيه وعافى الله أهل التوحيد منه فيقول:

❝يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلى باسم منتقم❞

❁ تعليق الشيخ ❁

فها هو يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبر أنه لا يجد من يلوذ به حين حلول الحادث العمم وهو قيام الساعة، لا يجد من يلوذ به ولو كان رب العالمين مالك يوم الدين.

فاللهم عياذا بك من موت القلب، فما أبشع ما قال وما أشنع ما قال.

فقد حصر لياذه في غير الله في ذاك الخطب الجسيم.

والعجيب أن عباد الأصنام، أن أبا جهل وأبا لهب وأضرابهما، لا يدعون غير الله عند إتيان العذاب أو قيام الساعة.

ألم يقل سبحانه وهو أصدق قيلا: ﴿ **قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾

هذه حال المشركين وتلك حال ذاك الشاعر.

﴿**ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا**﴾

قارن قوله بقول الله سبحانه آمرا خليله محمدا صلى الله عليه وسلم:

﴿ **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾

و قارنه أيضا بقول الرجل الصالح صاحب يس:

﴿ **إن يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون**﴾

و قارنه بقوله تعالى:

﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾

و قارنه بقوله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه:

« يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا »

و قارنه بقوله صلى الله عليه وسلم المخرج في صحيح مسلم:

« **لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك** »

قارن بين كل هذا وما قاله هذا الشاعر لتعلم فداحة ما وقع فيه.

فإن قال قائل لعله يقصد التماس الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في الآخرة ثابتة، فالجواب أن يقال والأمر عنده أبلغ من هذا بكثير، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المرجو المستعان به الذي به اللياذ، هو المدعو المسؤول المستغاث، والآخرة ملكه.

ألم يقل في تلك القصيدة: " فإن من جودك الدنيا وضرتها كما سيأتي "

أولا: فأين الشفاعة من قول في همزيته:

" فأغثنا يا من هو الغوث والغياث إذا أجهد الورى اللأواء "

وثانيا: الشفاعة ملك لله، ﴿**قل لله الشفاعة جميعا**﴾، لا يملكها غيره سبحانه، ولا يمكن لأحد أن يشفع حتى يأذن الله، والله جل وعلا هو الذي يحد للشافع من يشفع له، فالأمر ليس راجعا إلى مشيئة الشافع.

والله جل وعلا يقول للشافع وسيد الشفعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «**واشفع تشفع**»

فهو مأمور ولا يملك إلا أن يطيع الله جل وعلا.

بناء على ما سبق، **من سأل الشفاعة أحدا من الأموات فقد سأل شيئا لا يملكه إلا الله، وهذا شرك بالله.**

إن الذي يقتضيه التوحيد والإيمان أن يسأل العبد ربه أن يشفع فيه الشفعاء وأن يعلق قلبه في شأنها بالله وحده.

تأمل أيها الموفق هذه الآية وأرخ لها سمعا:

﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾

هل سمعت: **﴿ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾**:

فالأمر كله لله

ثم عقب الشاعر على البيتين السابقين بتعليل استغاثته الشركية فقال:

❞ فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم ❝

❁ تعليق الشيخ ❁

فجعل في الشطر الأول الدنيا والآخرة من عطاء النبي صلى الله عليه وسلم وأفضاله، والجود: هو العطاء والإفضال وهو فرع عن الملك، فأضحى معنى كلامه أن الدنيا والآخرة ملك له صلى الله عليه وسلم، هكذا قال.

وكذب فيما قال وصدق الله إذ قال:

﴿**وإن لنا للآخرة والأولى**﴾ ، ﴿**فلله الآخرة والأولى**﴾

أي غلو هذا !!، ومن نصدق عباد الله!!، أكلام الله أم كلام الشاعر!؟.

ثم قال في الشطر الثاني: " ومن علومك علم اللوح والقلم "،

❁ تعليق الشيخ ❁

فجعل ما جرى بالقلم في اللوح المحفوظ بعض علوم النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا قال

وكذب فيما قال وصدق الله إذ قال: ﴿ **قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾

وصدق الله: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾

وصدق الله إذ قال: ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**﴾

كما أمره سبحانه أن يقول: ﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**﴾

يا لله العجب من شأن الغلاة، آيات صريحة أن علم الغيب ومنه ما في اللوح المحفوظ قد اختص به، وهو مما علم بالاضطرار من دين المرسلين أجمعين، ثم يضربون بهذه الأدلة عرض الحائط ويصرون على مناقضتها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ومن يضلل الله فما له من هاد.

وقوله هنا ذكرني بما قدمته في همزيته: " هذه علتي وأنت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء "

❁ تعليق الشيخ ❁

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عليما بما في القلوب لا يخفى عليه ما فيها

وكذب فيما قال وصدق الله إذ جعل هذا مما يختص به سبحانه فقال:

﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾

وصدق الله إذ قال عن نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾

وقد يقول قائل هنا: لما لا يكون علمه صلى الله عليه وسلم بالغيب مما ذكره الشاعر راجعا إلى تعليم الله إياه، ألم يقل سبحانه: **﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾**

والجواب أن يقال:

أولا: إن اتباع المتشابه من سمات أهل الأهواء الذين أمرنا بالحذر منهم، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: « **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»

ثانيا: يجب أولا إحكام المحكم في هذا الباب ليرد المتشابه إليه حتى يتضح، والمحكم هنا هو أن الله تعالى مختص بعلم الغيب المطلق وحده لا شريك له.

قال سبحانه: **﴿ قل إنما الغيب لله، قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، ﴾**

وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ما سمعت:﴿ولا أعلم الغيب﴾ .

هذا هو الأصل وهذا هو المحكم.

وقد يعلم الله أحد رسله بعض أمر الغيب، **فهذا استثناء مقيد:﴿ إلا من ارتضى من رسول﴾**، **وهذا لا يجعله عالما بالغيب محيطا بعلم اللوح والقلم، لأنه حينها سيكون مشاركا لله فيما يختص به، وتكون تلك الآيات السابقة كاذبة، وحاشا كلام الله.**

ثالثا: الكتاب الذي جاء فيه:﴿ **إلا من ارتضى من رسول**﴾ هو الذي جاء فيه: ﴿**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾ وهو الذي جاء فيه: ﴿**ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم**﴾

وأسماء هؤلاء المنافقين مكتوبة في اللوح المحفوظ قطعا، فإما أن يكون كلام الله هو الصادق أو قول الشاعر: " ومن علومك علم اللوح والقلم هو الصادق ".

رابعا: إنما أعلم به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب وأمر بإبلاغه للناس صار معلوما عندهم كأمور الآخرة وما أخبر به مما يكون مستقبلا من أشراط الساعة وغيرها، ولم يعد حينها غيبا.

والله تعالى قد قال عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وما هو على الغيب بضنين**﴾ ، أي بخيل، بل قد بلغ من ذلك ما أمر بتبليغه.

خامسا: قد دلت أدلة عدة على عدم علم النبي صلى الله عليه وسلم بأشياء مثل أسماء المنافقين، وأن العقد تحت البعير في قصة التيمم، وغير ذلك، وكم في قصة الإفك من عبرة لمن تدبر.

وإني أسأل من يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم له علم اللوح والقلم، قد ثبت في الصحيحين من رواية جمع من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يحال بينه وبين رجال من أمته على الحوض فلا يردون عليه، فيقول صلى الله عليه وسلم: «**إنهم مني، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي**».

هذا حديث قطعي الثبوت، وكون هؤلاء سيغيرون ويبدلون مكتوب في اللوح المحفوظ قطعا، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك.

فيا هذا، هل تصدق النبي صلى الله عليه وسلم في هذا فتسقط تلك الدعوى الشركية، أم لا تصدقه فيسقط إيمانك، فاختر لنفسك.

سادسا: القدر الذي أعلمه الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الغيب لم يترتب عليه عند الصحابة الغلو فيه و ادعاء ما ليس له، فلم يعلقوا به عليه الصلاة والسلام رجاءهم لا في أمور الدنيا ولا في أمور الآخرة، ولم يدعوه ولم يستغيثوا به.

بخلاف أهل الهوى والخرافة حيث جعلوا هذا الأمر ذريعة للغلو الشركي.

﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾

من غلو الشاعر في قصيدته حلفه بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:

"يا ربي بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم، واغفر إلهي لكل المسلمين بما يتلون في المسجد الأقصى وفي الحرم، بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم "

❁ **تعليق الشيخ** ❁

في هذه الأبيات توسل بدعي في الدعاء وهو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وجاهه، وهذه بدعة لا دليل عليها، وفي الشطر الأخير جعل الإقسام باسم النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم القسم، وإن من أسهل الأشياء عند هذا الشاعر أن يقسم بغير الله، وهذا ما تكرر في قصيدته غير مرة.

ومن ذلك قوله:

❞ أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم ❝

❁ **تعليق الشيخ** ❁

أقول: يا أيها الكرام، إن الحلف و الإقسام لا يجوز إلا بالله، قال صلى الله عليه وسلم: « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » ، وهذا الشرك يراوح بين شرك أصغر وأكبر بحسب حال الحالف، وكون هذا الشاعر يجعل اسمه صلى الله عليه وسلم قسما من أعظم القسم يقرب هذا القسم من الشرك الأكبر، لا سيما إذا ضم إليه ما تقدم في قصيدته من غلو وشرك.

أما أهل الإيمان والتوحيد فإن الله الأحد عندهم هو المقسم به الأوحد، **فلا يحلف إلا به ولا يقسم إلا باسمه، هذا حق خالص له لا يجوز أن يشارك به.**

وصدق نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال: « **من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**» متفق عليه.

ومن الغلو المقيت والقول الرديء قوله:

❞ لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم ❝

❁ **تعليق الشيخ** ❁

المقصود أن هذا البيت أراد منشئه أن يخبر أن الله تعالى لم يعط نبيه صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يليق بقدره العلي، وإلا فلو أعطي ما يليق به لكان ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم عند الميت كافيا في أن يعود حيا.

وفي هذا الكلام الباطل شنعات بعضها فوق بعض، منها سوء الأدب مع الله العظيم سبحانه، فوالله إنه لم يقل هذا في حق اسم الله ولا اعتقده، فاسم النبي صلى الله عليه وسلم عنده له من الشرف والأثر ما ليس لإسم الله.

ثم إنه أساء الأدب على مشيئة الله و قدح في حكمته حيث ادعى أن الله تعالى بخس نبيه صلى الله عليه وسلم حظه فلم يؤته الآيات التي يستحقها وتليق به.

ثم أساء الأدب معه سبحانه حين اعتقد أن جميع الآيات دون قدره، فاندرج في هذا العموم المستفاد من قوله آياته، وهو جمع مضاف، أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن.

والله جل وعلا يقول:

﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**﴾

ولا يزال الشاعر يوغل في غلوه فيقول:

❝ وكيف تدع إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ❞

❁ **تعليق الشيخ** ❁

فهو يزعم أن وجوده صلى الله عليه وسلم علة وجود الدنيا، فلم تخلق إلا لأجله، وهذا غلو قبيح وقول لا دليل عليه.

ولو تدرع هذا القائل ومن على شاكلته بحديث يروونه وهو: « **يا محمد لولاك ما خلقت الدنيا**» ، **فهذا حديث موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

والحق أن الله خلق الدنيا بالحق وللحق وهو ابتلاء عباده لتحقيق ما يحب من إقامة العبودية له.

قال سبحانه: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾.

وقال سبحانه: ﴿**خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون**﴾.

وقال جل في علاه: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

ومن غلوه أيضا قوله:

❞ عي الورى فهم معناه فليس يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم ❝ .

❁ تعليق الشيخ ❁

ومراده أنه قد عجز الخلق عن فهم معنى النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته مع القرب أو البعد منه زمانا أو مكانا، وهذا تصور باطل مخالف للكتاب والسنة.

فقد أبانا الله حقيقته، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، وهي أنه بشر ولكن الله فضله واجتباه وأوحى إليه، فبشريته حق لا ريب فيه، فليس بإله ولا فيه شذرة من الألوهية، إنما بشر مثل البشر وإن كان أفضل البشر وسيدهم.

قال سبحانه: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**﴾.

فهل يصدق الغلاة كلامه أم يكذبونه!؟.

أما نحن فنعتقد أنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وأنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع.

ومن غلوه أيضا قوله:

" لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم ".

❁ تعليق الشيخ ❁

فهذه دعوة إلى شم تراب القبر النبوي وتقبيله وتعفير الوجه به، ووالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث لاجتثاث هذه الوثنيات من النفوس.

إن التمسح بالقبور ولثمها وتعفير الوجوه بترابها من أعمال أهل الشرك والخرافة لا أهل العلم والإيمان، وقد اتفق العلماء على تحريمه والتحذير منه.

وقد كان المقتضي لفعل هذا قائما عند الصحابة رضي الله عنهم ولا مانع يمنعهم، ولم يفعلوا، فكان بدعة منكرة قد تبلغ بصاحبها حد الشرك.

ومن غلوه أيضا قوله:

" وكل آية أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم ".

ومراده أن معجزات الأنبياء مستفادة منه صلى الله عليه وسلم بوجه ما، وكذب وصدق الله إذ قال: ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين**﴾.

فآياته هو صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من الله وحده، فكيف تكون معجزات الأنبياء الآخرين متصلة من نوره بهم.

وهل هذا إلا محض افتراء وغلو.

هنا يحوم حول عقيدة يعتقدها أهل الخرافة، وهي أن جميع الرسل شربوا من نور النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم حسب ما يناسبه، وأن جميع الرسل فاضت عليهم العلوم من نوره صلى الله عليه وسلم، وما هي إلا دعوى غالية لا سند لها ولا زمام ولا خطام.

وعلى هذا النسق مضى في أبيات أخرى يخبر فيها عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول:

" وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم، وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم ".

❁ تعليق الشيخ ❁

أي أن الأنبياء ثابتون عند حدهم الذي هو في زعمه كالنقطة من علمه وكالشكلة من حكمه، وفي هذا من الغلو وسوء الأدب معهم ما لا يخفى، على أن قوله قول مخترع لا دليل عليه.

وعلم الأنبياء وحي متلقى عن الله لا من غيره، قال سبحانه:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾.

ما أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذب الكاذبين.

ويمضي الشاعر خطوة أخرى في سوء الأدب مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول عن قصة الإسراء:

❞ وقدمتك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم ❝.

❁ تعليق الشيخ ❁

فجعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنزلة الخدم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا وصف لا يليق بهم ولا يجوز لمسلم أن يصفهم به.

فالعلاقة بين الأنبياء علاقة أخوة لا علاقة خادم ومخدوم.

وفي الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الأنبياء إخوة لعلات**».

وحين عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء ولقي من لقي من الأنبياء إدريس وموسى وعيسى وهارون ويحيى ويوسف عليهم الصلاة والسلام، كل واحد منهم كان يقول له: «**مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح**».

أيها الإخوة، لا ريب أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو المقدم الذي له الفضيلة على الأنبياء جميعا، فهو أفضلهم وإمامهم، هو سيد ولد آدم وآدم فمن دونه تحت لوائه، لكن هذا لا يجوز أن يتذرع به للمساس بجناب بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

هذه بعض القوادح العقدية التي أردت بيانها في هذه القصيدة، وقد تركت أشياء عدة نظرا لضيق الوقت، والمقصود ذكر أمثلة لا الحصر.

يا أيها الإخوة، ما أوردت إلا نصحا لإخواني وقياما بواجب البيان، ولعله قد تكشف لك يا رعاك الله أن الشهرة ليست مقترنة بالصواب بالضرورة، فقد يشتهر ما هو باطل بل ما هو من أبطل الباطل.

والميزان الذي يتميز به الصواب من الخطأ هو وحي رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد لفرعها وأصلها.

أيها الإخوة الكرام، ينبغي العلم بأن بين أهل التوحيد والاتباع وأهل الخرافة والابتداع فرقانا عظيما.

فشتان بين من كان الله عندهم أكبر من كل شيء في المحبة والتعظيم والرجاء والخوف، وفي العلم والقدرة، وبين من كان لهم من دونه أولياء يحبونهم كحب الله و يعظمونهم كتعظيمه.

شتان بين من اتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم فلا يريدون ولا يصدرون إلا عن آية أو حديث صحيح، إمامهم واحد هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، **فوحدوا الرسول في الاتباع كما وحدوا المرسل في العبادة، ونفروا من المحدثات وأنكروا المبتدعات، فالدين الصافي عندهم هو الذي كان عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم صحبه.**

شتان بين هؤلاء وبين قوم مشربهم من مستنقع البدع الآسن، ولا يدورون في تعبداتهم وآرائهم إلا على خرافة أو قصة مخترعة أو حديث مكذوب أو عقل قاصر أو رؤية منامية.

﴿يا قوم هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾

﴿مهما يكن من شيء فالحكم لله العلي الكبير﴾

﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾

﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾

﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

والحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

تم نسخ الدرس بحمد الله وتوفيقه، السبت ١٧ رمضان ١٤٤٧

اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.